

أثر تغير المعنى بالنقل في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة
وجذرها (دراسة في نماذج من ألفاظ تامة منطقة الباحة)

مكين بن حوفان بن مكين آل محسن القريني*

جامعة الباحة

<https://www.ub.edu.sa/web/dsr/09/05>



*يعمل الباحث أستاذاً مشاركاً في تخصص اللغويات، ومهتم بفقهاء اللغة ومعجماتها
وعلم الدلالة واللهجات، وله كتاب (اللسانيات قضايا وتطبيقات)، وتسعة عدة
أبحاث منشورة، وله مشاركات بحثية في مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، وعضو مجمع اللغة الافتراضي عبر تويتر

إيميل الباحث: makeen.h@hotmail.com

كود البحث: 210021

تاريخ استقبال البحث: ٢٤، جمادى الثانية، ١٤٤٢ هـ (٠٦ / ٠٢ / ٢٠٢١ م)

تاريخ النشر: ١٣، شعبان، ١٤٤٢ هـ (٢٦ / ٠٣ / ٢٠٢١ م)



مجلة جامعة بيشة
للعلوم الإنسانية والتربوية

أثر تغير المعنى بالنقل في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها (دراسة في نماذج من ألفاظ تامة منطقة الباحة)

مكين بن حوفان بن مكين آل محسن القرني

الملخص: يتناول هذا البحث أثر تغير المعنى بالنقل المجازي في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، بالتطبيق على نماذج من ألفاظ تامة منطقة الباحة. ومن أبرز أهداف البحث: بيان أثر تغير معنى الكلمة بالنقل من مجال إلى آخر في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، بالتطبيق على أمثلة من واقع الاستعمال في الحياة اليومية في تامة منطقة الباحة، وإعادة اللفظ المتغير معناه بسبب النقل المجازي إلى أصله بلطف، مع التذليل والتعليل ما أمكن. وقد اتبع البحث من أجل تحقيق هذه الأهداف المنهج الوصفي. ومن أبرز النتائج: أن المجاز يُثري اللغة ويُجري الحياة في عروقها، وله أثر ظاهر في إحداث الفجوة بين معنى الكلمة المستعملة في زماننا ومعاني جذرها، وأن إيجاد العلاقة بين المعنى المتغير والمتغير إليه يحتاج إلى دُرْية ومُتْرُس، وأنه ينبغي تصحيح بعض الأحكام المُخَطِطة الناتجة عن الغفلة عن قوانين التطور الدلالي. التوصيات: يوصي البحث بالمزيد من الدراسات الراصدة لتطور الدلالة بالنقل المجازي في ألفاظ الناس اليوم، وإعادة تلك الألفاظ إلى جذورها اللغوية بلطف دون تعسف أو تكلف، وليس ذلك من قبيل الدعوة إلى إحياء العامية، بل إنه من قبيل خدمة العربية بإعادة معاني مفرداتها المتطورة إلى موادها اللغوية.

الكلمات المفتاحية: تغير الدلالة - النقل - الفجوة الدلالية - الجذر - المجاز

Title: The impact of changing the meaning by figurative communication in the widening of the semantic gap between the word and its origin (A study on examples of Tihamah words in Al-Baha region)

Abstract: The present research investigates the impact of changing the meaning by figurative communication in the widening of the semantic gap between the word and its origin, by applying it to examples of Tihamah words in Al-Baha region. Among the most prominent objectives of the research: To demonstrate the impact of changing the meaning of a word by moving from one domain to another in the widening of the semantic gap between the word and its root, by applying examples from the reality of use in daily life in Tihamah of Al-Baha region, and returning the changed word in its meaning due to figurative communication to its origin gently along with demonstration and explanation as possible. In order to achieve these aims, the research followed the descriptive approach. Among the most prominent conclusions: that metaphor enriches the language and makes it literally applicable, and has an apparent effect on creating the gap between the meaning of the word used in our time and the meanings of its origin, and that finding the relationship between the changed meaning and the original meaning needs training and practice, and that some erroneous judgments resulting from negligence must be corrected regarding the laws of semantic development. Recommendations: The research recommends more studies that monitor the development of significance by figurative communication in the vocabulary of people today, and returning those expressions to their linguistic roots gently without arbitrariness or pretension, and this is not a call to revive the colloquial, but rather it is like serving the Arabic by returning the meanings of its advanced vocabulary to its Linguistic origins.

Key Words: semantic change – communication – semantic gap – origin – metaphor

مقدمة:

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى هداه، أما بعد:

فإن معاني المفردات مما يتجلى فيها التطور والتغير عبر الأزمان، وكثيراً ما نسمع مفردات بمعانٍ معينة في بيئة معينة، ثم نبحث عن معانيها فلا نجدُها ضمن معاني المادة اللغوية التي تنتمي إليها، فنحسبها مما فات جامعي اللغة الأوائل، أو نعدُّها من الانحرافات الدلالية الجارية على ألسنة العامة، وقد يُعَدَّر غير المتخصص حينما لا يستطيع معرفة التطور أو التغير الجاري فيها، لكن اللغوي المتمرس لا يخفى عليه أنها منتمة إلى مادتها اللغوية، ولكنها تغيرت تغيراً بعلاقة مقبولة عند البيان والإيضاح عنها.

وفي بحث سابق درست أثر الإبدال في تنافي معاني المادة المعجمية بالتطبيق على نماذج من المفردات المستعملة في تامة منطقة الباحة، وأثناء البحث كنت أصادف مفردات متغيرة المعاني، وكان ربطها بموادها اللغوية في حاجة إلى إعمال فكر، وإلى اطلاع على علم المعنى وطرق التغير أو التطور الدلالي.

ولعل الكلمة الشرارة التي أشعلت الرغبة في إجراء هذا البحث هي كلمة (العزلة)، وهي كلمة مشتهرة في منطقة الباحة، ومعناها الجنون أو خفة العقل، وهو المعنى الذي لم تثبت معجمات اللغة في مادة (عزل)؛ وذلك لأن فيها تطوراً أو تغيراً دلاليًا يعود إلى مظهر من مظاهر التطور أو التغير الدلالي، ألا وهو نقل مجال الدلالة نقلاً مجازياً.

وغير المتمرس قد يحكم بعدم انتماء معاني بعض المفردات إلى موادها اللغوية، وما ذلك إلا للغفلة عن طريقة تغير المعنى فيها؛ ولذا جاء هذا البحث ليُعيد بعض الأمثلة إلى موادها اللغوية ببيان كيفية تغير المعنى فيها، وما سيرد من مفردات من قبيل التمثيل لا الحصر.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أثر تغير معنى الكلمة بالنقل من مجال إلى آخر في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، بالتطبيق على أمثلة من واقع الاستعمال في الحياة اليومية في تامة منطقة الباحة في عصرنا الراهن، وإعادة اللفظ المتغير معناه بسبب النقل المجازي إلى أصله بلطف، مع التذليل والتعليل ما أمكن.

منهج البحث:

اتبعت البحث من أجل تحقيق أهدافه المنهج الوصفي، واعتمدت ثلاث طرق لجمع الألفاظ التي كان لتغير المعنى فيها أثر مؤدٍ إلى اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، وهي: المراقبة الشخصية، وإجراء المقابلات، والاطلاع على ما كُتِبَ عن لغة منطقة الباحة.

وقد رتبت المفردات الواردة في البحث ترتيباً ألفبائياً، حسب نطقها في الاستعمال المحلي، لا حسب مادتها، وهذا الترتيب يأخذ بالحرف الأول من الكلمة بغض النظر عن كونها مجردة أو مزيدة، ويراعي ما بعده من الحروف في الترتيب.

الدراسات السابقة:

لم أعتز -في حدود ما اطلعت عليه- على دراسة تناولت أثر تغير المعنى بالنقل في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، لا في البيئة موطن هذه الدراسة، ولا في بيئة أخرى، وهناك جهود سابقة جمعت مفردات الحياة اليومية في منطقة الباحة أبرزها وأقربها من حيث التناول كتاب أ.د. عبد الرزاق بن حمود الزهراني (الفصاحة في منطقة الباحة: معجم بالكلمات الفصيحة المستعملة في الحياة اليومية)، وهو معجم ثري، وللباحث فيه جهد ملموس؛ وهو من أبناء منطقة الباحة وأستاذ في علم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان تناوله تناولاً معجمياً، وقد وقفت على آراء له في بعض الكلمات التي مثلت بما في هذا البحث ووجدته يعزوها إلى الفَوَات حيناً، ويؤولها حيناً آخر تأويلات تربطها بجذورها، لكنها لا تخلو من تعسّف، إلا أنه يُعذر في السهو عن طريقة نقل المعنى في بعضها؛ لتخصصه في علم الاجتماع. وكان اطلاعي على ما كتبه عن (العزلة) من الدوافع إلى بحثها وبحث غيرها، وبيان سبب خفاء ارتباط معناها بجذرها اللغوي، وقد التزمت في هذا البحث بالإشارة إلى رأيه ومناقشته إن كان وارداً في معجمه، ثم بيان طريق تغير المعنى من وجهة نظر البحث. وعليه فإن كتابه معجم يبين فيه فصاحة الكلمات في الاستعمالات اليومية في منطقة الباحة، وبحثي يدرس أثر تغير المعنى بالنقل في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، ويبين أن الغفلة عن معرفة طريقة تغير معاني الألفاظ قد يكون سبباً في إطلاق أحكام غير دقيقة، فهو -بذلك- يُكمل تلك الجهود، ويزيد عليها ببيان طريقة تغير المعنى المتَّفِقة والبحث الدلالي الحديث.

خطة البحث:

يأتي البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، يليهما خاتمة تتضمن أبرز النتائج وأهم التوصيات، يتلوها قائمة ببنت المصادر والمراجع.

وفي المقدمة: بيان مشكلة البحث، ودوافعه، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، والخطة.

وفي التمهيد: حديث موجز عن تهماة منطقة الباحة، وعن التغير الدلالي بنقل المعنى.

وفي المبحث الأول: بيان أثر تغير المعنى بعلاقة المشابهة في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها.

وفي المبحث الثاني: بيان أثر تغير المعنى بعلاقة غير المشابهة في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها.

والله -جل في علاه- المسدد والموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد:

يحسن في التمهيد لهذا البحث التعريف الموجز ببيئته (تامة منطقة الباحة)، وإيراد خلفية معرفية عن التغيير الدلالي بنقل المعنى، وفق الآتي:

أولاً: تعريف موجز بتهامة منطقة الباحة:

تُعد تهامة الباحة جزءاً مهماً من منطقة الباحة، الواقعة في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، وتضم تهامة منطقة الباحة أربع محافظات، هي: محافظة الحجر، ومحافظة قلو، ومحافظة المخوة، ومحافظة غامد الزناد. ويسكن في محافظتي قلو والحجر وتوابعهما قبائل زهران، وفي محافظة المخوة وتوابعها قبائل بني عُمر وزهران وغامد، وفي محافظة غامد الزناد وتوابعها قبائل غامد^(١). وهذه القبائل من القبائل الأزدية التي هاجرت من مأرب عاصمة المملكة السبئية في اليمن، إثر تهاؤم سد مأرب، واستوطنت ما يُعرف - اليوم - بمنطقة الباحة. وهم من أزد شنوءة، وأزد شنوءة من أعظم بطون الأزد، وقد عدَّهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبو عمرو بن العلاء والمبرد من أفصح الناس لغة^(٢)، وأشاد الخليل بن أحمد بنسبهم، وذكر أنهم من أصح الأزد فرعاً وأصلاً^(٣). وفي العصر الحديث أرجع الشيخ حمد الجاسر فصاحة القبائل الأزدية إلى البُعد عن الاختلاط بمن ليس عربياً^(٤)، وعد فؤاد حمزة لهجاتهم - مع غيرهم من القبائل الواقعة جنوبي الحجاز وشمال اليمن - من أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى، وذكر أنهم يستعملون ألفاظاً يُظن في الأقطار العربية المُتمدِّنة أنها مهملة ومتروكة، ولكنهم هم يستعملونها على البدهاءة^(٥).

وذكر جواد علي - معيّباً على ما أورده فؤاد حمزة - أن بعض اللهجات الفصيحة لا تزال باقية على ألسنة أولئك الناس، وحث علماء العربية في العصر الحاضر على توجيه العناية إلى دراستها قبل انقراضها وزوالها^(٦).

ثانياً: التغيير الدلالي بنقل المعنى:

(١) ينظر: موقع إمارة منطقة الباحة، الرابط: www.albaha.gov.

(٢) ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الفاضل في اللغة والأدب**، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٦م، ص ١١٣.

(٣) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (شناً ٢٨٧/٦).

(٤) ينظر: الجاسر، حمد، **في سرات غامد وزهران**، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٩٧هـ، ص ٤٨٦.

(٥) ينظر: حمزة، فؤاد، **قلب جزيرة العرب**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط ٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٠٧.

(٦) ينظر: علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٧١م، (٨/٥٩١-٥٩٢).

يتفق البحث الدلالي على أن للتغيّر الدلالي ثلاث طرق، هي: تخصيص الدلالة أو تضييقها، وتعميم الدلالة أو توسيعها، ونقل المعنى من مجال إلى آخر. ومستند الاتفاق أن دلالة الكلمة أما أن تنكمش إذا استعمل لفظ الكل في الجزء، وأما أن تتسع باستعمال الجزء معبراً عن الكل، وأما أن تنتقل من مجال إلى آخر، دون احتمال آخر يضاف إليها^(٧). ويُدرج بعض المنظرين للتغيّر الدلالي رقي الدلالة أو انحطاطها ضمن أشكال انتقال المعنى^(٨). ويُعد نقل المعنى أهم أشكال تغير المعنى؛ لنتوّعه، واشتماله على أنواع المجازات التي تقوم على التخيلات^(٩).

ويعيننا في هذا البحث نقل المعنى من مجال إلى آخر، وبالتحديد ما يُسمّى بالنقل المجازي، إذ "يُنقل اللفظ من مجال دلالاته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة المشابهة أو غير المشابهة بين الدلالتين"^(١٠). وهذه المجازات -وفق هذه العلاقة أو المناسبة- تُنسى مع كثرة الاستعمال والشيوع، وتُصبح معانيها حقيقية، وذلك ما يُسمّى بالمجازات المُسيّئة؛ لأنّ المجاز متى كثر استعماله يصير حقيقة عُرفاً^(١١).

ولا شك أن رُقي التفكير ينجح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها، والاعتماد عليها في الاستعمال؛ وفيه تنتقل الدلالة من مجال المحسوس إلى مجال الدلالات المجردة، وهو مجاز ليس كالمجاز البلاغي لدى أهل الأدب، فلا يكاد يثير في ذهن السامع دهشة ولا غرابة؛ لأنّ المراد منه ليس إثارة العاطفة أو انفعال النفس، بل هدفه الأساس الاستعانة على التعبير والمعاني المجردة^(١٢). والمجاز المعنى هو المجاز اللغوي لا العقلي؛ لأنّ المجاز العقلي يكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له؛ أما المجاز اللغوي، فيكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة^(١٣)، وهو نوعان:

(٧) ينظر: الداية، فايز، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، دمشق: دار الفكر، ط ٥، ١٤٢٧/هـ ٢٠٠٦م، ص ٣٧٩.

(٨) ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط ٥، ١٩٩٨م، ص ٢٤٨.

(٩) ينظر: السابق، ص ٢٤٩.

(١٠) الحماوي، عثمان محمد أحمد، علم الدلالة تأصيلاً ودراسة وتطبيقاً، الدمام: مكتبة المتنبّي، ط ١، ١٤٢٧/هـ ٢٠٠٦م، ص ١٠٥.

(١١) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهّر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨م، (٢٩١/١).

(١٢) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٧٦م، ص ١٦١-١٦٢.

(١٣) ينظر: عتيق، عبد العزيز، علم البيان، بيروت: دار النهضة العربية، ط ١، ١٤٠٥/هـ ١٩٨٥م، ص ١٤٣.

الأول: الاستعارة، وهي من سنن العرب في كلامها، بأن "يَصْعَوُا الكلمة للشيء مُستعارة من موضع آخر" (١٤)، وذلك حين تكون العلاقة بين المدلولين هي المشابهة، مثل استخدام كلمة (القلادة) لدى أهل الأندلس في معنى (الحزام)، وهي ما يحيط بالعنق، وبين المدلولين تشابه، فالحزام يحيط بالوسط، كما تحيط القلادة بالعنق (١٥). وكذلك كلمة (القطار) كانت تدل على قافلة الإبل، ثم تغيرت دلالتها بالنقل فأصبحت تدل على مجموعة من العربات التي تقودها قاطرة، وهو انتقال سببه علاقة المشابهة؛ فهناك وجه شبه بين تتابع الإبل وراء حاديتها وتقاطر العربات وراء القاطرة (١٦).

الثاني: المجاز المرسل، وذلك حين تكون العلاقة بين المدلولين شيئاً غير المشابهة، وله علاقات كثيرة، منها: السببية، والمُسَبَّبِيَّة، والكُلِّيَّة، والجزئية، والآلية، والحالِيَّة، والمحليَّة، والمجاورة المكانية، والمجاورة الزمانية، والألزاميَّة، واعتبار ما كان، واعتبار ما سيكون (١٧)، ومن أمثلته: "الدَّقْن" تعني مجتمع عظام اللحين من الفك، ثم انتقلت لتدل على اللحية بعلاقة المجاورة (١٨).

ويذهب ابن جني إلى أن العرب تعدل عن الحقيقة إلى المجاز "لمعان ثلاثة: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه" (١٩)؛ وما ذلك إلا لأن المجاز مُعين على تصوير المعنى بدقة أعلى وبصورة أكثر تأثيراً، فهو وسيلة لغوية لمسيرة تقدم البشرية ومواكبة رقي الحياة العقلية لدى الإنسان، وهو ما يقتضي تغيير الدلالات وتطورها (٢٠).

وليس من شك في أن المجاز يُثري اللغة، وله دور كبير في سد حاجات العلوم وما يُجد في حياة الناس، وليس أدل على ذلك من أن الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها؛ منقولة من معانيها اللغوية إلى معانيها الشرعية على سبيل المجاز؛ ولهذا فإن المذهب القائل إنه لا يُباح نقل لفظ من معنى إلى معنى لم ينقله إليه العرب وإن كان بين المعنيين علاقة أو مناسبة؛ مذهب ساقط بنفسه، ولا نظير له بين علماء لغةٍ يجري في عروقها دم الحياة (٢١).

(١٤) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق محمد علي بيضون، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٥٤-١٥٥.

(١٥) ينظر: مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف، ١٩٨١م، ص ٣٧٠.

(١٦) ينظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، عثمان، دار الضياء، (د . ط)، (د . ت)، ص ١٤٤.

(١٧) ينظر: القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مراجعة وتصحيح الشيخ بهيج غزالي، بيروت: دار إحياء العلوم، ط ٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م، ص ٢٥٦-٢٥٩.

(١٨) ينظر: عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ١٩٩.

(١٩) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ، (٢/٤٤٢).

(٢٠) ينظر: مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ١٥٣.

(٢١) ينظر: حسين، محمد الخضر، مجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، مج ١، ١٩٣٤م، ص ٢٩٣-٢٩٤.

والذي عليه جمهور العلماء أن "مدار صحة المجاز على تحقق ما كان يراعيه العرب من نوع العلاقات، فلا نقف عند حدِّ الألفاظ التي استعملوها في غير ما وضعت له، كالأسد والقمر والغيث، فإذا رأيناهم قد نقلوا اسم شيء إلى آخر لعلاقة السببية -مثلاً- جرينا على أثرهم، وصاغ لنا أن نتصرف في الألفاظ تصرفهم، فننقل اسم كل سبب إلى المعنى الذي ينشأ عنه... وقد جرى على هذا المذهب أئمة الأدب، فما كانوا ليتوقفوا في الأخذ بسبيل المجاز إلا على تحقق نوع العلاقة، دون أن يبحثوا عن اللفظ بعينه، ليتعرفوا هل سلك به العرب مسلك المجاز" (٢٢).

ولغة العرب ليست حكرًا على القدامى منهم، فباب القياس في المجاز مفتوح، وللعربي المعاصر أن يُطوِّر دلالات الألفاظ بالمجاز والنقل، شريطة أن تكون على سمت كلام الأوائل، وأن تحظى بقبول المجتمع.

المبحث الأول: أثر تغير المعنى بعلاقة المشابهة في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها:

من المعلوم أن الصلة اللفظية بين الجذر ومشتقاته لازمة، أما الصلة المعنوية فقد لا تبدو ظاهرة في بعض المشتقات وجذورها، وهذا يُفسَّر بأن الكلمة لا تنتمي إلى ذلك الجذر، أو بأن الكلمة أصاب معناها تغيرٌ أبعد عن معنى الجذر العام (٢٣)، أو بأن معاني الجذر تعددت وتوسعت، كما في بعض الجذور الأصول في مقاييس اللغة لابن فارس.

والتغير الكبير في المعنى قد يُؤهم بأن الكلمة لا تنتمي إلى جذرها، ولذا قال محمود السعراي: "يحدث التطور الدلالي تدريجياً في أغلب الأحوال، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغيرٍ كبير في المعنى" (٢٤).

والعربية لغة مُحكَّمة، ويمكن فيها إرجاع استعمالات المادة اللغوية إلى معنى واحد، فإن "تباعد شيء من ذلك عنه زُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه" (٢٥)، والإعادة إلى المعنى الأصل الذي تدور عليه الاستعمالات لها قيمة دلالية لم يغفل عنها المتقدمون ولا المحدثون، يقول محمد جبل عنه: إنه "عمل يحدد المعنى اللغوي الذي تدور عليه كل استعمالات المادة اللغوية، وهذا يمكننا من ضبط معاني تلك الاستعمالات وتحريرها... والتأصيل يمكن من حسم الخلافات والأقوال الكثيرة المتوارثة في تحديد معاني الألفاظ، وتطبيقه في اللغة كلها يبرهن ارتباط كل مادة بمعنى من المعاني تدور حوله، وهذه خطوة ضرورية في البرهنة على إحكام اللغة وعدم جزاقتها" (٢٦).

(٢٢) السابق، ص ٢٩٤.

(٢٣) ينظر: طرزي، فؤاد حنا، الاشتقاق، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص: ٧٨.

(٢٤) السعراي، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص: ٢٨٨.

(٢٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: عالم الكتب، (١٣٤/٢).

(٢٦) جبل، محمد حسن حسن، المعنى اللغوي دراسة نظرية تطبيقية، طنطا: مطبعة التزكي، ١٩٨٩م، ص ١١٧.

والمقصود في هذا المبحث إيراد أمثلة تُبيّن أثر تغير المعنى بعلاقة المشابهة في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، وليس القصد الحصر وتكثير الأمثلة، بل إن المقصد إماطة اللثام عن أمثلة من واقع الاستعمال اليومي في منطقة الباحة، تبدو معانيها غير منتمة إلى معاني جذورها اللغوية ظاهرياً، في حين أن اللغوي المكين قد يلحظ تغير المعنى بالنقل المجازي فيها بشيء من الجهد، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

١- أحوى:

يقولون: أحوى فلان علينا، أي تأخر، ولا تحو علينا، أي لا تتأخر، وما ورد في المعجمات عن مادة (حوى) ليس فيه النص على معنى التأخر، والذي ورد فيها معنى احتواء الشيء والبقاء فيه، وربما كان هو المقصود في اللمحة، فشبهه بالحوي والحوية، قال الأزهري: "حوى فلان ماله حياً وحواية: إذا جمعه وأخرزه. واحتوى عليه. قال: والحوي استدارته كل شيء كحوي الحية، ... والحوي الحويض الصغير يسويه الرجل لبعيره يستقيه فيه وهو الموكو، يُقال قد احتويت حويًا. وأما الحوايا التي تكون في القيعان والرياض، فهي حفاير ملتوية يملؤها ماء السيل فيبقى فيها دهرًا؛ لأن طين أسفلها علك صلب يُسبك الماء، واحدها حوية. وقد تسميها العرب الأمعاء تشبيهاً بحوايا البطن" (٢٧). فكان من يتأخر ينطوي في مكان ويتلبث فيه مجتمعاً، فهو كالحوي المستدير المجتمع في مكانه، كما تنطوي الحيات ونحوها. وبهذا يصح المعنى في مادة (حوى) بعلاقة المشابهة، وهو مما لا يخفى على اللغوي المدقق، إلا أن غير المتدبر قد يُبعد في التأويل أو يحمل ذلك على القووات؛ لغفلته عن النقل المجازي الحادث فيه.

٢- بُرْهَةٌ:

اسم للأرنب في منطقة الباحة تامة وسراة، وهو من التسميات الغريبة التي صادفتها، وقد وجدت عبد الرزاق الزهراني في كتابه (الفصاحة في منطقة الباحة) يُورد أن كلمة (أرنب) لم تكن معروفة عندهم، فاسمها المعروف المتداول في بيئتهم (بُرْهَةٌ)، ورأى أنها مما أملهته المعجمات، وأنها قد تكون مشتقة من البرهنة؛ لسرعتها، وأنها لا يمكن أن تُرى إلا بُرْهَةً قصيرة (٢٨). وهو اجتهاد نادره للمؤلف، إلا أن البحث يرى التسمية آتية من علاقة المشابهة؛ لأن (بُرْهَةٌ) تأتي تصغيراً ل(بَرْهَةٌ)، "والبَرْهَةُ: الجارية البيضاء، وبَرْهٌها: ترارُها وبَضاضُها" (٢٩)، وقد نص الخليل بن أحمد على تصغيرها، بقوله:

(٢٧) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، (حوى) ١٨٩/٥.

(٢٨) ينظر: الزهراني، عبد الرزاق بن حود، الفصاحة في منطقة الباحة (معجم بالكلمات الفصيحة المستعملة في الحياة اليومية)، بيروت:

مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٣م، ص ٧٠.

(٢٩) الفراهيدي، العين، (بره ٤/٤٩).

"وتصغير البرّهرة: بُرَيْهَةٌ، ومَنْ أَمَّتْهَا قال: بُرَيْهَةٌ، وأما بُرَيْهَةٌ فقبليحة قلما يُتَكَلَّمُ بها" (٣٠). وزاد الأزهرى: امرأة برّهرة، أي تارة تكاد تُرْعَد من الرطوبة، أو التي لها بريق من صفاتها، أو رقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة (٣١). وهذه الصفات التي أوردتها المعجميون للمرأة البرّهرة، من بياض وصفاء وبريق ورقة وامتلاء جسم ولين ونعومة؛ جلها في الأرنب، وربما سُميت الأرنب بُرَيْهَةٌ في منطقة الباحة لمشابقتها المرأة البرّهرة، وتصغيرها (بُرَيْهَةٌ) ناسب صغر الأرنب.

وقد يخفى تغير المعنى بالنقل المجازي على غير المتأمل فيرى (بُرَيْهَةٌ) بمعنى الأرنب غير منتمية إلى الجذر (بره)، وحينئذ يحكم بعدم انسجامها معه أو بفواتها على المعجميين، أو يذهب بها إلى تأويل بعيد؛ في حين أن ملحظ التسمية جاء من المشابهة للمرأة البرّهرة، التي تصغيرها (بُرَيْهَةٌ).

٣- حاض:

يأتي الفعل (حاض) في استعمال بعض سكان تهامة منطقة الباحة لمعنى يبدو غريباً، بعيداً عن (الحيض) بمعنى سيلان الدم، يقولون: فلان حاض، وفلانة حاضت، إذا ذهب عقله وعقلها نتيجة مرض أو صدمة، بموت قريب ونحوها. ولم يرد في مادة (حيض) هذا المعنى، وقد يحكم المتعجل بعدم انتمائه إليها، والبحث يذهب إلى أن (حاض) تغيرت تغيراً دلاليّاً بالنقل المجازي بعلاقة المشابهة؛ لأن الفعل حاض حيضاً يأتي لسيلان دم المرأة، وسيلان صمغ شجرة السمر (٣٢)، قال ابن فارس: "الحاءُ والياءُ والضادُ كلمةٌ واحدةٌ. يُقالُ حاضَتِ السَّمْرَةُ إذا حَرَجَ مِنْهَا ماءٌ أَحْمَرٌ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ النُّفْسَاءُ حائِضًا، تُشَبِّهُهَا لِذِمِّهَا بِذَلِكَ الْمَاءِ" (٣٣).

فابن فارس يرى حيض المرأة مشبهاً بحيض السمر، ويرى ابن سيده العكس، فيكون حيض السمر مشبهاً بحيض المرأة، إذ قال: "وحاضت السمر: خرج منها الدوم، وهو شيء شبه الدم، وإنما ذلك على التشبيه" (٣٤).

(٣٠) السابق، (بره ٤/٤٩).

(٣١) ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (بره ٦/١٥٨)، وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ، (بره ١٣/٤٧٦).

(٣٢) ينظر: ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز، كتاب الأفعال، تحقيق علي فودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ٢١٣.

(٣٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، (حيض ٢/١٢٤).

(٣٤) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم واخيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، (حيض ٣/٤١٨).

ويرى البحث أنه كما شُبه سيلان صمغ السَّمرة بسيلان دم الفرج أو العكس، فإن قولهم: حاض فلان أو حاضت فلانة، بمعنى ذهاب العقل؛ تشبيهه بحيض المرأة والسمرة، فكأن العقل ماعٌ وسال من هول الصدمة أو من مرض ونحوه، وإذا سال وماعٌ فَقَدْ إدراكه، وهي استعارة لطيفة فيما أحسب. ويؤيد ذلك تعبيرهم عن ارتجاج العقل بقولهم: ماع عقلي من فعل فلان، أي سال وفقد تركيزه وتماسكه.

٤- الحَمِيل:

الحَمِيل في تهامة الأزد: ولي المرأة من النسب، كالأب والأخ ونحوهما، يقولون: فلان حميل فلانة، أي حامل ولايتها وقرابتها، فهو الذي تؤوي إليه متروجة أو غير متروجة. ويقولون: فلانة حميلة فلان، أي محمولته ولايةً وقرابة. ولم يرد (الحَمِيل) في المعجم العربي لمعنى ولي أمر المرأة، ومن يستعرض مادة (حمل) في معجمات العربية يجدها دالة على أن الحميل: ما يحمله السيل من عُثاء، والغريب الذي يُؤتى به من بلد إلى آخر، والكفيل الضامن أو الغارم؛ لكونه حاملاً للحق عمن عليه الحق، والرجل الدَّعيّ، والولد في بطن أمه إذا أُخِذت من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، والمُنْبُوذ بحمله قوم فِرُّبُونه، والسحاب كثير الماء؛ لكونه حاملاً للماء^(٣٥).

والحَمِيل بمعنى ولي المرأة ينتمي إلى مادة (حمل)؛ لأنها محمولة على وليها المنسوبة إليه، فهو حامل نسبها، وهي مُشَبَّهة بما يُحْمَل ويُحْرَز ويُصان، ويؤيده أن كل محمول حَمِيل كما يورد ابن منظور^(٣٦)، والحَمِيل بمعنى الولي فعيل بمعنى فاعل، فهو حامل ولاية قريبتة، وهي محمولة عليه، فكأنه تَعَلَّقَها في حوزته.

٥- دَعْف:

الدَّعْف في استعمال اللهجة المحلية في تهامة الباحة: ما يُسببه الحر الشديد من رائحة غير مقبولة نتيجة خروج العرق من الأبدان، يقولون: في المكان الفلاني دَعْف، أي حر شديد، ومرادهم ما ينتج عن شدة الحر من روائح كريهة، وفلان مُدَعْف، أي له رائحة مُعَرَّزة، وفلان أضعفنا، أي كاد يقتلنا بكرهه رائحته، وانضعفنا، أي أصابنا الحر الشديد.

^(٣٥) ينظر: الفراهيدي، العين، (حمل ٢٤١/٣)، والأزهري، تهذيب اللغة، (حمل ٦٠/٥)، وابن منظور، لسان العرب، (حمل ١٧٨/١١-١٨٠).

^(٣٦) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (حمل ١٧٨/١١).

وليس من معاني مادة (ذعف) في معجمات العربية الرائحة الكريهة، والدَّعْفُ فيها والدُّعَافُ: السُّمُّ القاتل^(٣٧)، ويأتي (أُدْعَفَ) بمعنى قتل، قال ابن دريد: "وأُدْعَفَ الرجلُ الرجلَ، إذا قَتَلَهُ قَتْلًا سَرِيعًا"^(٣٨)، والموت الدُّعَافُ: السريع المَعَجَّلُ بالقتل^(٣٩)، كما ورد (أندَعَفَ) بمعنى: انبهر وانقطع فؤاده، من شِدَّةِ العَدُوِّ ونحوه^(٤٠).
ويتضح للباحث المدقق أن معنى (الدُّعْفُ) نُقِلَ من السُّمِّ إلى ما يَنْتَجُ عن شدة الحر من روائح كريهة بسبب العَرَقِ، وأن العلاقة هي المشابهة، فكان الرائحة الكريهة المنبعثة من الأبدان نتيجة الحر؛ سُمُّ قاتل.

٦ - رَهَجٌ:

سمعتهم في محافظة غامد الزناد يُطْلَقُونَ (الرَّهَجَ) على ما يسبق المطر من رشٍّ خفيفٍ، وينطقونه مُكْرَأً بالتونين (رَهَجٍ)، وفي معجمات العربية: الرَّهَجُ والرَّهَجُ: العُبَارُ^(٤١)، ومن معانيه السحاب الرقيق على التشبيه بالغبار، قال ابن سيده: "والرَّهَجُ: السَّحَابُ الرِّقِيقُ، كأنه عُبَارٌ"^(٤٢)، وقال ابن منظور: "وَأَرَهَجَتِ السَّمَاءُ إِزْهَاجًا، إِذَا هَمَّتْ بِالْمَطَرِ"^(٤٣). ويدل على التشبيه بالغبار قول مَلِيحٍ الهُدَلِيِّ^(٤٤):
فَقِي كَلِّ دَارٍ مِنْكَ لِلْقَلْبِ حَسْرَةٌ يَكُونُ لَهَا نَوْءٌ، مِنَ الْعَيْنِ، مُرْهَجٌ
أَرَادَ شِدَّةً وَقَع دُمُوعَهَا حَتَّى كَأَنَّهَا تُبِيرُ الْعُبَارَ"^(٤٥).

(٣٧) ينظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، *جمهرة اللغة*، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧م، (ذعف) ٦٩٧/٢.

(٣٨) السابق، (ذعف) ٦٩٧/٢.

(٣٩) ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (ذعف) ١٣٦١/٤.

(٤٠) ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ذعف) ٣١٦/٢٣.

(٤١) ينظر: ابن سيده، *المحكم والمحيط الأعظم*، (رهج) ١٦٣/٤، وابن منظور، *لسان العرب*، (رهج) ٢٨٤/٢.

(٤٢) ابن سيده، *المحكم والمحيط الأعظم*، (رهج) ١٦٣/٤.

(٤٣) ينظر: ابن منظور، *لسان العرب*، (رهج) ٢٨٤/٢.

(٤٤) ينظر البيهقي، ابن سيده: *المحكم والمحيط الأعظم*، (رهج) ١٦٣/٤، وابن منظور، *لسان العرب*، (رهج) ٢٨٤/٢.

(٤٥) السابق، (رهج) ٢٨٤.

وعليه فإن (الرَّهَج) في أصله الغبار، إلا أنه أطلق على الرَّثِّ في أول المطر، تشبيهاً له بالغبار، وقد يكون السبب في إطلاق الرَّهَج على الرَّثِّ الخفيف في أول المطر ما يثيره أول المطر من غبار عندما يقع على الأرض المُجْدِبَة، فيكون مجازاً علاقته السببية؛ لأن الغبار (الرَّهَج) مُتَسَبِّبٌ عن أول المطر.

٧_ العَزَلَة:

وتعني في منطقة الباحة: الجنون، أو خفة العقل وضعفه، والتصرف المشين غير اللائق، ومنها اشتقوا: المغزول، على وزن مفعول، وهو لا يعني الخيوط الممدودة المفتولة؛ إذ معناه: مجنون أو خفيف العقل، يقولون: جَلَّ بالعَزَلَة يا مغزول، وفلان عَزَلَّ بي، أي: جنَّني، أو أذهب عقلي.

ولعل أقرب المعاني إليها ما أورده المعجميون من أن (العَزَل) في مثل قولهم: عَزَل الكلب، وهو أن يطلب الغزال حتى إذا أدركه وثعا من الخوف انصرف عنه وفتروضعف^(٤٦)، ويُقال للضعيف الفاتر عن الشيء عَزَل، ومنه رجل عَزَل لصاحب النساء؛ لضعفه عن غير ذلك^(٤٧).

ولا أرى حمل ضعف العقل والإدراك على الفتور عن الشيء والضعف عنه، ولا أنها من أغزل من الحُمَّى، إذا تكررت واعتادته كأنها عاشقة له متعزلة به^(٤٨)، فأدت به إلى الهديان المُشْبِه هذيان المصاب في عقله، وفق ما ذهب إليه صاحب كتاب الفصاحة في منطقة الباحة^(٤٩).

ويرى البحث أن (العَزَلَة) مأخوذة من (الغزال)، وللغزال صفات كثيرة، منها: الجمال، وخفة الحركة، والسرعة، والرشاقة.

وإطلاق (المغزول) على (خفيف العقل) له علاقة بالغزال في خفة حركته وسرعته، لكن الخفة نُقِلت من فعل الغزال إلى فعل العقل؛ باندفاع صاحبه دون تأنٍ، أو بمسارعة إلى فعل غير محمود.

والمغزول بذلك لفظ رشيق موحٍ ينسجم مع مادة (غزل)؛ ولدلالته الإيحائية اختاره عبد العزيز مشري -رحمه الله- عنواناً لآخر أعماله (رواية المغزول).

(٤٦) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (غزل ١٧٨١/٥).

(٤٧) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (غزل ٧٧/٨)، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (غزل ٤٤٥/٥)، وابن منظور، لسان العرب، (غزل ٤٩٢/١١).

(٤٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (غزل ٤٩٢/١١).

(٤٩) ينظر: الزهراني، الفصاحة في منطقة الباحة، ص ٤٦٢.

ويؤيد ما قلته عن أخذ العزلة والمغزول من خفة حركة الغزال ما ذهب إليه دركزلي في (العزّل والغزّل)، من أنه قد تبدو العلاقة بينهما وبين مادة (غ ز ل) منقطعة، إلا أن اللغوي يعرف بأن العزّل مشتق من الغزال؛ لأنه أجمل حيوان في البيئة الصحراوية، ولذا شُبّهت المرأة ببعض محاسن الغزال، وللعزّل بسكون الزاي علاقة بذلك؛ لأن العزّل يفتح الزاي ثناء على المرأة لغرض الوصال والقرب، والعزّل بسكون الزاي جمع ووصل بين الحيوط المتناثرة، شأنه شأن العزّل الذي هدفه الجمع بين الحبيبين، وبناء على ذلك فإن المادة التي كانت تشتمل على معنى أساس حسي واحد في الأصل اكتسبت معاني جديدة ودلالات إضافية، ومع مرور الزمن تَقَطَّعت الأسباب بينها ظاهرياً، وإن كان اللغوي الحصيف قادراً على استنباط أسرارها وإمطة اللثام عنها^(٥٠).

وبذا يكون العزّل والغزّل مأخوذين من الغزال في جماله وحسنه، وتكون العزلة والمغزول من الغزال في سرعته وخفة حركته. والعلاقة علاقة مشاهمة، ويؤيده في العزّل قول السمين الحلبي: "وكَيْي بالعزّل والمُعَازلة عن مناقشة المرأة التي كأنها غزال"^(٥١)، وكذلك في العزلة التي عُبرَ بها عن خفة العقل، الشبيهة بخفة الغزال.

٨- قَشْبِي:

يستعمل الناس (قَشَب) بتضعيف العين في تامة منطقة الباحة بمعنى وَسَّخَ، يقولون: لا تَقَشْبِي، أي لا توسِّخني، وفلان قَشَب ثيابي، أي وَسَّخها. والقَشَب له معنيان كما يورد ابن فارس؛ فالأول: "خَلَطُ الشَّيْءِ بِالطَّعَامِ، وَلَا يَكَادُ يَكُونُ إِلَّا مَكْرُوهًا، مِنْ ذَلِكَ الْقَشْبُ، هُوَ السُّمُّ الْقَاتِلُ... وَالْأَصْلُ الْأَخْرُ: الْقَشْبِيُّ: الْجَدِيدُ مِنَ الثِّيَابِ وَعَبْرَهَا"^(٥٢). والفعل (قَشَب) ورد استعماله بمعنى سَمَّ، فقد نُقل "أن رجلاً يمر على جسر جهنم، فيقول: يَا رَبِّ قَشْبِي رَجْهًا، مَعْنَاهُ: سَمِّي رَجْهًا"^(٥٣).

(٥٠) ينظر: دركزلي، عبد الرحمن، الظواهر اللغوية الكبرى في العربية، حلب: دار الرفاعي للنشر - دار القلم العربي، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٤٢.

(٥١) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (١٦١/٣).

(٥٢) ابن فارس، مقاييس اللغة، (قشب ٨٩/٥-٩٠).

(٥٣) الأزهرى، تهذيب اللغة، (قشب ٨/٢٦٣).

ودلالة (قشب) -في اللهجة- على ما يلحق الثياب من وسخ مأخوذة من المعنى الأول (خلط شيء بشيء)، وربما كان الأصل السّم يخلط بالطعام ونحوه فيفسده، ثم استُخدم مجازاً، فقيل: "رجل مقشّب النسب، وقشّبه: عابه واغتابه. وقشّبه بسوء: لطحه به" (٥٤).

والبحث يرى أن استخدام (القشّب) بمعنى الوسخ من نقل المعنى بعلاقة المشابهة، إذ إن ما يُخالط الثياب من وسخ أشبه بالسّم يخالط الطعام، والجامع بينهما الإفساد.

٩- تُطْلُوط:

يقولون فلان يَطْلُط في المكان الفلاني، فهو تُطْلُوط، إذا كان يلزم القيام بأعمال غير لائقة، في مكان ما، مُتَخَيِّباً. وتأتي (يَطْلُط) -الواردة ضمن مادة (لطط) -لمعان، منها: العجوز الكبيرة، وغلِيظ الأسنان، والناقاة الهرمة (٥٥). وليس من ضمن هذه المعاني ما يدل على الفعل الديني بدلالة مباشرة، ويرى البحث أن (التُّطْلُوط) من (لَطَّط)، فيكون أصله من (لَطَّ)، ضَعِفَ فأصبح (لَطَّطَ)، ثم ثقل بهذا التضعيف، ففُكَّ تَضْعِيفُهُ بحرف من جنس الحرف الأول في الكلمة وهو اللام فصار (لَطَّطَ)، وبنوا منه (فُعْلُول)، فقالوا: (تُطْلُوط).

ويدل على هذا الفك (يَطْلُط) المعجمية، وقد علل ابن فارس دلالة (يَطْلُط) على العجوز الكبيرة، بقوله: "وَاللُّطْلُوطُ: الْعَجُوزُ الْكَبِيرَةُ؛ لِأَنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِمَكَائِهَا، لَا تَكَادُ تَبْرُحُ" (٥٦).

والتُّطْلُوط - كذلك - يُلازِم مكانه لممارسة الدناءة، وهو -بمذه الحالة- شبيه بالعجوز الكبيرة، بجامع ملازمة المكان، مع اختلاف سبب الملازمة؛ فاللُّطْلُوطُ عَجُوزٌ تَلَازِمُ مَكَانَهَا عَجْزاً، وَالتُّطْلُوطُ (يَطْلُوط) رجل يلازم مكانه لممارسة أفعال غير لائقة.

١٠- مُسْتَهَم:

يقولون في تمامة منطقة الباحة: فلان مُسْتَهَم، إذا كان شارداً ذهن، أو مستغرقاً في التفكير أو ساهياً، ولم يرد هذا المعنى في مادة (سهم)؛ لأن أجلى معاني (السَّهْم): النصيب، وواحد النبل، والقدح الذي يُقَارَعُ به، والبُرْدُ المُسْتَهَم: المُخَطَّط، والسُّهْمُ: عبوس الوجه وتعيره من الهَم (٥٧).

(٥٤) الزحشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١،

١٤١٩هـ/١٩٩٨م، (قشب ٧٨/٢).

(٥٥) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (لطط ٣٩١/٧).

(٥٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، (لط ٢٠٦/٥).

(٥٧) ينظر: الفراهيدي، العين، (سهم ١١٢-١١/٤).

ويرى البحث أن (المُسَهَّم) -بمعنى شارذ الذهن، أو مُسِنَّت التفكير- ينتمي إلى مادة (سهم)، ولعله آت من السَهْم بمعنى واحد النبل، فعندما تُرْسَم السهام على الثياب تكون تلك الثياب مُسَهَّمَة، أي تُشْبِهُ خطوطها أفوايق السَهْم^(٥٨)، أو تُصَوَّر على شكل السَهْم^(٥٩).

وشارد الذهن يُطلق نظره المُتَّصِل بفكره في اتجاه آخر بعيد عن مُحَدِّثه، وكأن نظره ينطلق في خطوط كالسهام بعيدة عمَّن حوله، وذلك على سبيل نقل المعنى من المحسوس إلى المعنوي بعلاقة المشابهة؛ فسهام النظر المُصَوَّبَة في اتجاه مُعَيَّن -ليس في اتجاه الحَضْرَة- شَبَّهت بخطوط البُرْدَة الموشَّاة لانسجامها في اتجاه محدد، فالسَهْم من الثياب ما وقع عليه التسهيم، وهو رسم السهام، اسم مفعول من (سَهَم). والمُسَهَّم من الناس ما وقع منه التسهيم، فهو اسم فاعل من (سَهَم)، لكن ليس برسم السهام، بل بإطلاق التفكير وتركيزه في اتجاه آخر بعيد عمَّن حوله، وذلك على سبيل المجاز بعلاقة المشابهة.

المبحث الثاني: أثر تغير المعنى بعلاقة غير المشابهة في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها:

١- الجعال:

يستعمل الناس في نواح من منطقة الباحة التهامية (الجعال) بمعنى الملابس، يقولون في (نبرا) غرب جبل شدا: انتظري ألبس جعالي، أي ملابسي، والبس جعالك، أي ملابسك، وهي مستخدمة في نواح أخرى من منطقة الباحة - كما ورد في الفصاحة في منطقة الباحة- بمعنى القطعة القديمة من القماش يُتَوَقَّى بها من حرارة أواي الطبخ^(٦٠)، وقد وردت (الجعال) في المعجم العربي بمعنى الحُرْقَة يُزَلُّ بها القدر، ولم ترد بمعنى الملابس، ففي العين: "والجعالُ والجعالَة: حِرْقَةٌ تُنَزَلُ بها القَدْرُ عن رأس النارِ، يُتَمَّى بها من الحر" ^(٦١). ومن شواهدا قول الراجز^(٦٢):

كُمْنَزِلٍ قَدْرًا يَلَا جَعَالِهَا ...

(٥٨) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٣٨٢/١).

(٥٩) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (سهم ٤٤٢/٣٢).

(٦٠) ينظر: الزهراني، الفصاحة في منطقة الباحة، ص ١١١.

(٦١) الفراهيدي، العين، (جعل ٢٢٩/١)، ويُنظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (جعل ٤٨٢/١).

(٦٢) الرجز بلا نسبة في العين (جعل ٢٢٩)، وجمهرة اللغة (جعل ٤٨٢/١)، وينظر: يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٣٩٥/١١).

وُثِقَ عن الكسائي: "أجعلتُ القدرَ إجمالاً، إذا أنزلتها بالجمال"^(٦٣)، والجمالُ بذلك: ما يُتَمَيُّ به من خرقَة قماشية من حرارة القدر، عند إنزالها عن الأثافي ونحوها من المواقد.

وتسمية الملابس جعلاً متصلة بمعنى الجعال المعجمية عند التدقيق؛ لوجود علاقة قائمة على غير المشاهدة، فما يُنزل به الطعام خرقَة من القماش، أي جزء منه، والملابس من الأقمشة، فيكون ذلك من باب المجاز المرسل بعلاقة الجزئية، أي تسمية الشيء باسم جزئه.

وقد تكون العلاقة باعتبار ما كان، إذ إن الخرقَة التي يُستعان بها على إنزال القدر ونحوها؛ تكون قديمة غالباً، وقد كانت قبل استعمالها في إنزال القدر لباساً، فلما بلي هذا اللباس واهترأ استخدمَ خرقَة لإنزال قدر الطعام. وبذلك تكون من باب المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما كان، وهو الأقرب فيما أحسب؛ لأن الجاري في عُرفنا وعُرف آبائنا أن هذه الخرقَة المستخدمة لالتقاء حرارة القدر، لا تكون إلا من الملابس القديمة التي لم تُعدّ صالحة للاستعمال.

وبذا تكون (الجمال) بمعنى الملابس منضوية تحت الجذر (جعل)، ولا يُدرك ذلك إلا متأمل فُقه طرق نقل المعنى بالمجاز، وجذر (جعل) يندرج تحته كلمات بمعان غير مُنقاسة أو لا يُشبه بعضها بعضاً، كما يَذكر ابن فارس^(٦٤). وهذا الجذر يمكن أن يكون معناه العام تحويل الشيء أو نقله إلى وضع أو هيئة معينة^(٦٥)، ومنه نقل قماش اللباس البالي إلى جعال يُتَمَيُّ بها حر قدور الطبخ.

٢ _ خاتمة:

وتستخدم في منطقة الباحة في الخصومات، بمعنى الصلح (إنهاء القضية بإعطاء الحق لطالبه)، وقد تكون هذه الخاتمة ميمناً (حلفاً)، أو عيناً كالنقود، أو غير ذلك كالاتذار ونحوه. وهي "جزء من النظام الاجتماعي في منطقة الباحة؛ لإنهاء الخلافات ودياً"^(٦٦)، يقولون: حَتَمَ فلان لفلان، أي أعطاه اليمين على شيء، وأخذ فلان خاتمة من فلان، أي أخذ مقابلاً حسياً أو معنوياً.

(٦٣) الأزهرى، تهذيب اللغة، (جعل ١/٢٤٠).

(٦٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (جعل ١/٤٦٠).

(٦٥) ينظر: جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠١٠م، (٣١٦/١).

(٦٦) الزهراني، الفصاحة في منطقة الباحة، ص ١٧٧.

ويرى البحث أن تسمية ما نُتِهي به الخصومات (خاتمة) من مادة (ختم)، وإن لم يُضَمِّن هذا المعنى المعجميون؛ لأن خاتمة كل شيء نهايته وآخره^(٦٧)، والصلح يُنهي الخصومات فيكون خاتمة لها. والخاتمة -هنا- بمعنى الختم، أي تمام الشيء وقطع فعله وعمله^(٦٨)، قال ابن فارس: "الخَاءُ وَالنَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ. يُقَالُ خَتَمْتُ الْعَمَلَ، وَخَتَمْتُ الْقَارِئُ السُّورَةَ"^(٦٩).

وأرى استخدام الخاتمة للصلح في الخصومات من المجاز المرسل الذي علاقته البَدَلِيَّةُ؛ فالمذكور -وهو الخاتمة- بدل من الصلح، وقبول الخاتمة في الخصم هو قبول الصلح.

وقد تكون العلاقة علاقة مشابهة، فتكون من باب الاستعارة؛ لأن الخاتمة عاقبة الشيء ونهايته، والصلح هو إنهاء الخصومات؛ ولهذا فإن المعنى الأصلي للختم هو "التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء"^(٧٠)، فكأنه لا يترك فرصة لتسرب شيء إليه، أو زيادة شيء عليه^(٧١).

وعلى أيِّ من الرأيين فإن استخدام (الخاتمة) لمعنى الصلح وإنهاء الخصومة مجاز؛ وذلك داخل في كل عمل أُتِمَّ وُفِّرَ منه، كختم القرآن، والختم بالشمع على العسل، وختم الكتاب^(٧٢).

٣_ الحَرْمَةُ:

تأتي (الحَرْمَةُ) في استعمال الناس في منطقة الباحة بمعنى الرغبة في الشيء واشتهائه، يقولون: بفلان حرمة للقهوة، أي رغبة وشهوة، والوصف منها (حَرْمان)، فيقال: فلان حرمان للقهوة أو الشاهي أو الدخان ونحوها، وأغلب ما تكون الحَرْمَةُ للمنبهات.

ويرى البحث أنها آتية من أحد الطريقتين الآتيتين:

(٦٧) ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، (١٧١٣/٣).

(٦٨) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ص ٧٢.

(٦٩) ابن فارس، مقاييس اللغة، (ختم ٢/٢٤٥).

(٧٠) ابن سيده، الحکم والمحيط الأعظم، (ختم ٥/١٥٥).

(٧١) ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، (ختم ١/٥٣١).

(٧٢) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، (ختم ١/٢٣١).

الأول: الحُرْمَة، وهي بمنزلة الاسم من نعت الأَحْرَم، وهي موضع الحُرْم من الأنف^(٧٣)، وربما عُذَّت (الحُرْمَة) موضع شَمّ الطعام، فتكون مُحْرَضَة على اشتهاؤه والرغبة فيه. وبناء على ذلك يكون استعمالها في معنى الشهوة إلى الشيء والرغبة فيه، من باب المجاز المرسل بعلاقة الآلية؛ لأن خرمة الأنف تكون -بذلك- آلة شَمّ الشيء، ثم اشتهاؤه والرغبة في تناوله. الثاني: أن تكون مأخوذة من نبتة (الحُرْم)، وهي نبتة بنفسجية اللون، عبر عنها المعجميون بأن شَمَّها والنظر إليها مُفْرَح جداً، وأن مَنْ أَمْسَكها معه أحبه كل ناظر إليه^(٧٤)، فكأنها تضيف على حاملها المجازية والجمال. وعليه فإن (الحُرْمَة) بمعنى اشتهاؤه الشيء تكون مأخوذة من (الحُرْمَة) الباعثة على اشتهاؤه وحبه والرغبة فيه، فيكون المجاز فيها مجازاً مرسلأً، فهي من باب تسمية الشيء باسم أصله، فيما أحسب.

والرأيان كلاهما مُحْتَمَل وسائغ، على الرغم من أن المعجميين لم يوردوا معنى اشتهاؤه الشيء والرغبة فيه في مادة (خرم)، إلا أن اللغوي يلمح المجاز فيها، ويُحَرِّجها على المجاز المرسل بعلاقة الآلية في الرأي الأول، أو تسمية الشيء باسم أصله في الرأي الثاني.

٤ - زُقْلَة:

تأتي الزُقْلَة - في استعمال الناس في تهامة منطقة الباحة - بمعنى الشيء القليل من الأكل ونحوه، ولم يرد هذا المعنى في مادة (زقل)، وهي مادة فقيرة في المعجم العربي، وحملها بعض المعجميين على العُجْمَة، قال ابن دريد: "والزُقْل لَأَ أَحْسَبُهُ عَرَبِيًّا مُحَضًّا، وَمِنْهُ اسْتِقَاقُ الرَّوْاقِيلِ، قَوْمٌ بِنَاحِيَةِ الْجَزِيرَةِ وَمَا حَوْلَهَا"^(٧٥). وورد الزُقْل بمعنى الجنب، قال الشيباني: "الزُقْلان: الجنبان، تقول: رضع حتى امتلأ زُقلاه"^(٧٦). وألمس في زُقْل الرَضِيع - بمعنى جنبه - الاستدارة والصِّغَر.

(٧٣) ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (خرم ١١٠٠).

(٧٤) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (خرم ٧٠/٣٢).

(٧٥) ابن دريد، جمهرة اللغة، (زقل ٨٢٢/٢).

(٧٦) الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مزار، الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، (٨٣/٢).

وقد وردت (الرُّقْلَةُ) لدى الزبيدي في تاج العروس، إذ قال عنها: "الرُّقْلَةُ، بالصَّمِّ: شَيْءٌ يُجْعَلُ فِي فَمِ اللَّصِّ إِذَا أُمْسِكَ بِهِ لِغَالًا يَتَكَلَّمُ" (٧٧). وهي في المعجم الحديث بمعنى حوصلة الطائر (٧٨). ولعل استعمال (الرُّقْلَةُ) -بمعنى اللقمة أو الأكل القليل- أتت من ورودها بمعنى ما يُجْعَلُ فِي فَمِ اللَّصِّ لِغَالًا يتكلم، وهي شيء يملأ فاه، فتكون الرقلة -بمعنى ما يملأ الفم من الطعام- من باب المجاز المرسل الذي علاقته المكانية؛ لأن (الرُّقْلَةَ) مكانها فم اللص؛ لقفله عن الكلام، وهو ما يُرَجِّحه البحث. وقد تكون (الرُّقْلَةُ) -بمعنى الأكل القليل أو ما يملأ الفم- من باب الاستعارة، فتكون العلاقة علاقة مشابهة، فهي شبيهة في صغرها بجنب الرضيع وحوصلة الطائر.

٥ _ السِّلِيلَةُ:

تستعمل (السليلة) في تمامة منطقة الباحة للبطحاء الناعمة الممتدة في مجاري المياه الضيقة غالباً، ولم ترد في معجمات العربية للبطحاء الناعمة أو دُقاق الحصى، وهي -عند التحقيق- منتمية لمادة (سلل)، لكنها محمولة على المجاز، وقبل بيانه أوضح أن المعنى الأصل لهذه المادة، هو "مَدُّ الشَّيْءِ فِي رِفْقٍ وَخَفَاءٍ" (٧٩). ووردت السليلة لمعان، أهمها:

- ١ _ السليلة: الشعر يُنْقَشُ ثم يُطْوَى ويُشَدُّ، ثم تُسَلُّ منه المرأة الشيء بعد الشيء؛ من أجل ضمه وغزله (٨٠).
- ٢ _ السليلة: ما استطال من لحم المتن (٨١).
- ٣ _ السليلة: سمكة طويلة، لها منقار طويل (٨٢).
- ٤ _ السليلة: بنت الرجل من صلبه (٨٣).

(٧٧) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (زقل ١٢٨/٢٩).

(٧٨) ينظر: دوزي، رنهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ط ١، ١٩٧٩-٢٠٠٠م، (٣٤٠/٥).

(٧٩) ابن فارس، مقاييس اللغة، (سلل ٥٩/٣).

(٨٠) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (سلل ٤١١/٨)، وابن منظور، لسان العرب، (سلل ٣٣٩/١١).

(٨١) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (سلل ٤١١/٨).

(٨٢) ينظر: الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧م، (سلل ٣٩٨/٥).

(٨٣) ينظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (سلل ٢٠٦/١٢).

وهذه المعاني جميعها فيها معنى الامتداد والاستطالة في رفق ولطف، ولا شك أن البطحاء الناعمة تنسل في استطالة ورفق في المجاري الضيقة، فُتَسَمَّى حينئذ السليلة.

والعلاقة تحتمل المشابهة، فكأن البطحاء الناعمة المستطيلة في المجاري الضيقة تنسل كما تنسل الشعرة من العجين، وكما سُلَّ الإنسان من طين، وكما سُلَّ الابن من صلب أبيه. وقد تُحْمَل على المجاز المرسل؛ لأن السُّلَّان جمع سليل جاءت بمعنى الأودية^(٨٤)، فالسليلة منشعبة منها، إلا أن بطحاءها سُلَّت من الحصى حتى خلصت، فتكون العلاقة من باب تسمية الشيء بما أخذ منه أو بأصله، وقد سمى العرب المِسْبِل في مضيق الوادي السَّال، "كَأَنَّ الْمَاءَ يَنْسَلُ مِنْهُ أَوْ فِيهِ أَنْبِئَالًا"^(٨٥). وحملها على المجاز المرسل أو على الاستعارة متساوٍ في نظر البحث.

٦- الصَّدَّة:

الصَّدَّة اسم مُشْتَهَر في منطقة الباحة بمعنى اجتماع الناس في مناسبات الفرح (الزواج)، ومادته في معجمات العربية (صد)، ودلالته الأصلية الإعراض والعدول^(٨٦). وقد يأتي بمعنى الضح فيكون ناتجاً عن اجتماع الناس؛ ولذا قال ابن فارس: "وَمَا هُوَ صَحِيحٌ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، قَوْلُهُمْ: صَدَّ يَصِدُّ، وَذَلِكَ إِذَا صَحَّ"^(٨٧). وعليه فإن العلاقة بين الصَّدَّة واجتماع الفرح هي المُسَبِّبَةُ، فالصَّدُّ: الضَّحُّ، ثم كثر فصار اجتماع الناس للفرح ضَحًّا؛ لأن اجتماع الناس في مناسبات الفرح مُسَبِّبَةٌ لارتفاع الأصوات وضجيجها.

٧- القَحْم:

يُطلق (القَحْم) في تامة الباحة على الرجل كبير السن، وعلى الزوج صغيراً كان أو كبيراً، ولا يُقال للمرأة قَحْمَة، بل يُقال كهلة، وكهلة فلان: زوجته، كبيرة كانت أم صغيرة. وقد وجدتهم في نبات أزدية مجاورة -في محافظة العرضيات وما حولها- لا يُطلقون القحم والقحمة إلا على المسن والمسننة من المعز والضأن ونحوها، وأما كبير السن من الإنسان فالكهل والكهلة.

(٨٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (سلل ٣٤١/١١). قال الجوهري: "الليل الوادي الواسع يُنبِت السَّلَمَ والسَّمْرَ"، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (سلل ١٧٣١/٥).

(٨٥) ابن فارس، مقاييس اللغة، (سلل ٦٠/٣).

(٨٦) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (صد ٢٨٢/٣).

(٨٧) السابق (صد ٢٨٢/٣).

ويبدو أن إطلاق الفحَم على كبير السن من الرجال مبنيٌّ على المشابهة، ويؤيده ما أورده الأزهري، إذ قال: "الفَحْمُ الكَبِيرُ مِنَ الإِبِلِ، وَأَوْ شَبَّهَ بِهِ الرَّجُلُ كَانَ جَائِزًا"^(٨٨)، والفَحْمُ: الشيخ الكبير^(٨٩).

وليست القضية في الفحَم بمعنى الشيخ الكبير الهَرَمَ بنقله من حقل الإبل إلى حقل الإنسان بعلاقة المشابهة، فهي بيّنة ظاهرة، لكن القضية في إطلاق الفحَم على الزوج وإن كان صغيراً في العمر، وإطلاق الكهلة على الزوجة وإن كانت صغيرة سِنًّا، فقد تقول الفتاة لزوجها الشاب: (قحمي)، وهو يقول لها: كهلتي، وذلك مسموع في محافظة قلوة بتهامه منطقة الباحة وما حولها. وكأنه فُحِمَ من سِنِّ كان فيها خالياً بلا امرأة إلى سِنِّ يقترن فيه بامرأة لتكوين أسرة؛ ولهذا فإن العرب تُطلق (الفَحْم) على البعير الذي يُثني ويُربع في سنة واحدة، أي يُفَحِم سِنًّا على سِنِّ قبل وقتها^(٩٠)، فيكون بذلك إطلاق الفحَم على الزوج من باب التشبيه بالبعير الذي يُفَحِم سناً على سن.

والأقرب - فيما أحسب - أن يكون إطلاق الفَحْم على الزوج - وإن كان صغير السن - من باب رَفْعِهِ فوق سِنِّه لكونه أضحى رجلاً كبيراً حين تزوج وكَوَّن أسرة، فيكون النقل عن طريق المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما سيكون. وحدير بالتنبيه أنه في نباتات أزدية مختلفة يغلب ألا يُنادي الزوج زوجته باسمها والعكس، فُبِكَيُّ أو يَأْتِي بلفظ عام، كأن تقول له: يا مخلوق، ويقول لها: يا مخلوقة. أو تقول له: قحمي، ويقول لها: كهلتي، وإن كانا صغيرين عُمرًا. أو تقول له: يا ولد، ويقول لها: يا بنت أو يا صبية وإن كانا كبيرين عُمرًا. أو تقول له: يا رجال، ويقول لها: يا مَرَّة أو يا حرمة.

وجميع ما تقدم ألفاظ عامة يُكَيِّ بها عن اسم الزوج والزوجة، وتنتمي إلى حقل الإنسان، فهو مخلوق، قد يكون من حيث الجنس ولدًا أو بنتًا، رجلاً أو امرأة. ومن حيث العمر قد يكون صبيًّا أو صبية، أو كهلاً وقحماً أو كهلة وقحمة. وهذا يدل دلالة واضحة على أن النطق باسم الزوج والزوجة من قبيل المُحَرَّم اللغوي في الثقافة الاجتماعية، فُيَلَجَأ إلى المجاز والكناية؛ لتحاشي أن يُسَمِّي كلٌّ منهما الآخرَ باسمه الصريح.

ولعل السر في هذه التكنية أو التسمية في التسمية يعود إلى صون الاسم، وإحاطته بالحرمة، وهو ما يُبَيِّن "ما استقر في ذهن الإنسان منذ القدم من الربط بين اللفظ ومدلوله ربطاً وثيقاً"^(٩١)، فكان ذكر اسم الزوجة أمام الآخرين يستحضرها ويجعلها ماثلة أمامهم، وهو ما يرفضه العُزف في الثقافة العربية؛ ولذا ذكر الثعالبي أن "العرب تكني عن المرأة

(٨٨) الأزهري، تهذيب اللغة، (فحَم ٤/٥٠)، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (فحَم ١٢/٤٦٦).

(٨٩) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (فحَم ١٢/٤٦٢).

(٩٠) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (فحَم ٥/٦١).

(٩١) أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٧٦، ص ١٤٤.

بالنعجة، والشاة، والقُلوص، والسَّرحة، والحَرْث، والفَرَّاش، والعَنَبَة، والقارورة وإنما تقع هذه الكناية عَنَّن لا يجسرون على تسميتها، أو يتعيَّنون من التصريح بها^(٩٦)، كما ذكر أن بلغاء العصر وأفراد الدهر، كابن العميد والصاحب ابن عباد وغيرهما؛ كانوا يُكْتَوْنَ عن "البنْت بالكريمة، وعن الصغيرة بالريحانة، وعن الأم بالْحَرَّة والبرَّة، وعن الأخت بالشقيقة، وعن الزوجة بكبيرة البيت، وعن الحُرْم بمن وراء البيْت، وعن الرِّفَاف بتألف الشمل واتصال الجبل"^(٩٧).

٨- لَوِيَّة:

تأتي (لَوِيَّة) في الاستعمال المحلي في منطقة الباحة بمعنى الفداء^(٩٤)، فهم يقولون: جعلني لَوِيَّتَكَ، كقولهم: جعلني فِدَاكَ، ولم ترد (اللَوِيَّة) لهذا المعنى في معجمات اللغة، وقد أورد الجوهري أن "اللَوِيَّة: ما خبأته لغيرك من الطعام"^(٩٥)، واستشهد لهذا المعنى بقول أبي جُهَيْمَةَ الدُّهْلِيِّ^(٩٦):

قُلْتُ لِيذَاتِ التُّغَيْبَةِ النَّبِيَّةِ: قُومِي فَعَلَدِينَا مِنَ اللَوِيَّةِ

وذكرها ابن فارس بالمعنى ذاته، وحملها على إمالة الشيء، في قوله: "وَاللَوِيَّةُ: مَا دُخِرَ مِنْ طَعَامٍ لِعَبْرِ الْحَاضِرِينَ، كَأَنَّهُ أَمِيلٌ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ"^(٩٧).

ولعل قصدهم باللَوِيَّة في اللهجة ما يُدْخِر لك ويُخْفَى لأجلك، ويكون طوع يدريك تفعل به ما تشاء، ومادة (لوى) تدور حول عطف الشيء بعضه حول بعض أو حول غيره^(٩٨)، ومن لوازمه خفاء ما التوى عليه، وبذلك يكون قولهم: جعلني لَوِيَّتَكَ مجازاً مرسلاً، علاقته اللازمة.

٩- المَحْوَاة:

تُطْلَقُ في تمامة الباحة على ثلاثة أمكنة، أحدها عامر بالسكان، وهو (محافظة المحوَاة)، والآخرا ن وهدتَانِ تجتمع فيهما سبيل شعاب متجاورة، في الطريق إلى الحِصْحَص غرب جبل شدا الأعلى، وهما: (المَحْوَاة العليا، والمَحْوَاة

(٩٤) التعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الكناية والتعريض، تحقيق عائشة حسين فريد، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٧-٩.

(٩٥) السابق، ص ١٧.

(٩٦) ينظر: الزهراني، الفصاحة في منطقة الباحة، ص ٥٨٥.

(٩٧) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (لوي ٦/٢٤٨٦).

(٩٨) ينظر البيت في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (لوي ٦/٢٤٨٦)، ولسان العرب (لوي ١٥/٢٦٥).

(٩٩) ابن فارس، مقاييس اللغة، (لوي ٥/٢١٨).

(٩٨) ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (لوي ٤/١٩٣٨).

السفلى). وفي ثلاثتها التقاء سيول الشعاب والأودية، فكأنها التقت فترابطت برابطة الأخوة، وذلك من باب المجاز المرسل بعلاقة الملزومية؛ لأن المخواة من مادة (أخو)، وأصلها من الآخية، وهي الحبل "الذي يُدْفَنُ فِي الْأَرْضِ مَثْبُتًا وَيَبْرُزُ طَرْفَاهُ الْأَخْرَانِ شِبْهَ حَلْقَةٍ وَتُسَدُّ بِهِ الدَّابَّةُ"^(٩٩)، فمن لازم الربط في الحبل استعملت (المخواة) لالتقاء سيول الشعاب والأودية وتأخيها في الجريان في مسيل واحد، وهي بذلك كالأخوة في النسب لما فيها من ترابط^(١٠٠)، وما حُجِلَ عليها من الأخوة في الدين والصدقة ونحوها.

ولم أجد (المخواة) في معجمات العربية، وقد يذهب غير المتمرّس إلى حملها على مادة لغوية أخرى غير (أخو)، ك(خوي)، فيراها من خلو الشيء، والفراغ بين شيتين، كخوى فلان عند جلوسه، أي أبقى بينه وبين الأرض خواء، ومن المجاز فيه: خوى النوء وخوت النجوم، أي خلت من المطر^(١٠١). والواقع أن ملحظ التسمية آت من تأخي مجاري المياه في مجرى واحد، لا من خواء المكان وخلوه، وهو مجاز مرسل على ما سلف، لكن هذا المجاز تُنوسِي وأصبح كالحقيقة.

١٠_ هَيْلَة:

ترد هذه الكلمة في استعمال الناس في تامة منطقة الباحة بكثرة، وتأتي في سياق النفي والإثبات، لكن ورودها في سياق الإثبات أقل، يقولون: مزرعة فلان هيلة، أي طيبة مُستجادة، فهي تقال في مقام الاستحسان في الإثبات. وتأتي لعدم الاستحسان في النفي كثيراً، كقولهم: ما شئ هيلة، بحذف الهمزة من (شيء)، وهو تركيب مُشتهر في منطقة الباحة، ومعناه: قلة الفائدة في الشيء أو منه، كأن يُسأل عن جودة الشيء، فيقال إن كان غير جيد: ما شئ هيلة. ومادة الكلمة (ه ي ل) ومصدرها (هَيْل)، "والهَيْلُ: الهائل من الرَّمْل، لا يثبت مكانه حتى يَنْهَالَ فيسْقُط. وهَيْلُهُ أهيلُهُ فهو مَهِيلٌ"^(١٠٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [الزَّمَل: ١٤]. والمعنى العام لقولهم (ما شئ هيلة): لا يوجد زائد عطاء، وربما كان أصله: ما يوجد شيء مهيل، فأقاموا المصدر (هَيْل) مقام الاسم (مَهَيْل) وألحقوه التاء. ويؤيد الدلالة على كثرة العطاء ما أورده ابن فارس، من قولهم: "جاء بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلَمَانِ،

(٩٩) ابن منظور، لسان العرب، (أخا ١٤/٢٣).

(١٠٠) ينظر: فلبيان، فريضة محمد جوهر، مجاز اللغوي وأثره في إثراء اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (سابقاً)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية، ١٤٠٠-١٤٠١هـ / ١٩٨٠-١٩٨١م، ص ١٤٥.

(١٠١) ينظر: الرّمحشيري، أساس البلاغة، (خوي ١/٢٧٢).

(١٠٢) الفراهيدي، العين، (هيل ٤/٨٩).

أَيِّ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ" (١٠٣)، وما ذكره ابن سيده في محكمه، إذ قال: "وَجَاءَ بِالْمُهَيْلِ، وَالْمُهَيْلَمَانِ، وَالْمُهَيْلَمَانِ، أَيِّ الْمَثَلِ الْكَثِيرِ، الْأَخِيرَةَ عَنِ تَعَلُّبِ، وَضَعُوا الْمُهَيْلَ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ مَوْضِعَ الْإِسْمِ، أَيِّ بِالْمُهَيْلِ، شُبِّهَ بِالرَّمْلِ فِي كَثْرَتِهِ" (١٠٤).
ويتضح أن (المُهَيْل): انصباب الشيء واسترساله، وربما كان أصله للرمل، ثم جُعِلَ في كل شيء يُهَال، قال الجوهرى: "هَلْتُ الدقيق في الجراب: صببته من غير كَيْلٍ. وكلُّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَهُ إِرْسَالاً، من رمل أو تراب أو طعامٍ ونحوه، قلت: هلته أهيله هَيْلاً، فأنهال، أي جرى وانصب" (١٠٥).

ويرى البحث في كلمة (هَيْلَة) مجازين: الأول علاقته التشبيهية، إذ شُبِّهَ العطاء بالرمل لكثرتيه، والثاني مجاز مرسل علاقته اشتقاقية؛ إذ أُقيمت صيغة المصدر (هَيْل) مقام اسم المفعول (مَهَيْل)، وهما مجازان متلازمان فيما أحسب.

الخاتمة:

في ختام هذه الرحلة مع دراسة أثر تغير المعنى بالنقل في اتساع الفجوة الدلالية بين الكلمة وجذرها، بالتطبيق على نماذج من ألفاظ تامة منطقة الباحة؛ يمكن إنجاز أهم النتائج التي وصل إليها البحث، وإيراد أهم التوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

- ١- تطور الألفاظ بالنقل المجازي مظهر من مظاهر حياة اللغة، وهو متاح لأبناء العربية في كل العصور، شريطة أن يكون ذلك على سمت الكلام الأول، وأن يتحمّله المجتمع ويقبله.
- ٢- للمجاز أثر بارز في وجود الفجوة الدلالية بين بعض المفردات المستعملة في بعض البيئات وموادها المعجمية، وشواهد هذا الأثر كثيرة جداً، وما الكلمات الواردة في هذا البحث إلا أمثلة على ذلك.
- ٣- نقل المعنى بالمجاز في الأمثلة الواردة في هذا البحث يُؤكِّد أهمية المجاز في إثراء المواد المعجمية، ويُعيد المفردات المدروسة إلى موادها بلطف دون تعسُّف، وهو ما ينبغي أن يقوم به أبناء العربية تجاه لغتهم، بدلاً من حمل ذلك على الانحراف الدلالي والاستعمال العامي دون بحث وتعمُّق.
- ٤- لم يخرج تغير المعنى بالنقل -في استعمال الناس في تامة منطقة الباحة- عن مجالاته المألوفة، بل ظلَّ يدور حول علاقة المتغيِّر بالمتغيِّر إليه.

(١٠٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، (هيل ٢٦/٦).

(١٠٤) ابن سيده، المحكم والخيط الأعظم، (هيل ٣٨٢/٤).

(١٠٥) الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (هيل ١٨٥٥/٥).

٥ _ _ صَحَّحَ هذا البحث بعض الآراء التي حملت المعنى اللهجي لبعض الكلمات على معان بعيدة، أو حكمت بفواتها على جامعي اللغة الأوائل، بينما هي في الحقيقة من صميم موادها، بعلاقة مجازية يُدركها اللُّغوي المُتمرِّس.

ثانياً: التوصيات:

ينبغي أن ينهض البحث اللغوي الجاد إلى رصد التطور الدلالي بنقل المعنى من مجال إلى آخر في استعمال الناس في زماننا، وربط الألفاظ المتطورة بموادها اللغوية الأصيلة، وبيان علاقة النقل. وليس ذلك من قبيل الدعوة إلى إحياء العامية، بل إنه من قبيل خدمة العربية بإعادة معاني مفرداتها المتطورة إلى موادها اللغوية دون تكلف أو تعسف. ولا يتأتى ذلك إلا للمتخصصين في علوم العربية، المتمرسين بأساليبها، العارفين بقوانين تطور مفرداتها.

ثبت المصادر والمراجع:

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ.
٢. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.
٣. ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق عبد الحميد هندراوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، **المخصص**، تحقيق خليل إبراهيم جفال، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٥. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٦. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٧. ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز، **كتاب الأفعال**، تحقيق علي فودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٣م.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٩. الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
١٠. أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٦م.
١١. النعاللي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، **الكناية والتعريض**، تحقيق عائشة حسين فريد، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
١٢. الجاسر، حمد، **في سراة غامد وزهران**، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط٢، ١٣٩٧هـ.

١٣. جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٠م.
١٤. جبل، محمد حسن حسن، المعنى اللغوي دراسة نظرية تطبيقية، طنطا: مطبعة التركي، ١٩٨٩م.
١٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٦. الحاوي، عثمان محمد أحمد، علم الدلالة تأصيلاً ودراسة وتطبيقاً، الدمام: مكتبة المتنتي، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٧. حسين، محمد الخضر، المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، مج١، ١٩٣٤م، ص ٢٩١-٣٠٢.
١٨. حمزة، فؤاد، قلب جزيرة العرب، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٩. الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخريين، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٠. الداية، فايز، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، دمشق: دار الفكر، ط٥، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢١. دركزلي، عبد الرحمن، الظواهر اللغوية الكبرى في العربية، حلب: دار الرفاعي للنشر - دار القلم العربي، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٢٢. دوزي، رينهارت بيتر، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، ط١، ١٩٧٩-٢٠٠٠م.
٢٣. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٥. الزهراني، عبد الرزاق بن حمود، الفصححة في منطقة الباحة (معجم بالكلمات الفصححة المستعملة في الحياة اليومية)، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٣م.
٢٦. السعران، محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٢٧. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
٢٩. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مزار، الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،

١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٣٠. الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧م.
٣١. طرزي، فؤاد حنا، الاشتقاق، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٣٢. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٣٣. عتيق، عبد العزيز، علم البيان، بيروت: دار النهضة العربية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٤. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
٣٥. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧١هـ.
٣٦. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب، ط٥، ١٩٩٨م.
٣٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٣٨. فلمبان، فريحة محمد جوهر، المجاز اللغوي وأثره في إثراء اللغة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (سابقاً)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم اللغة العربية، ١٤٠٠-١٤٠١هـ / ١٩٨٠-١٩٨١م.
٣٩. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٤٠. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، مراجعة وتصحيح الشيخ بهج غزاوي، بيروت: دار إحياء العلوم، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م.
٤١. المردي، أبو العباس محمد بن يزيد، الفاضل في اللغة والأدب، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٦.
٤٢. مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، عمان، دار الضياء، (د. ط)، (د. ت).
٤٣. مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار المعارف، ١٩٨١م.
٤٤. يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في شواهد العربية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.